صفحة من الادب الايطالي

محاورة بين روح الهواء وروح الارض

للشاعر الايطالي الكبير جياكومو ليوباردي

Giacomo Leopardi

روح الهواء

ما هذا ! انتِ هنا ؟ والى اين تقفزين ؟

روح الارض

ارسلني والدي لابذل الجهد في الوقوف على ما يكيده لنا هؤلاء الآدميون الفجرة. وهو يرى بثاقب فطنته انهم يبيتون لنا الشر فقد غبر عليهم زمان طويل وهم في سكون مطبق مما أثار دهشتنا . ولم يظهر احد منهم في العالم السفلي . ووالدي يستريب بهم ويرى انهم ما كفوا عن ابتداع حيلة ضدنا الا اذا كانوا قد عادوا الى عادتهم القديمة في المقايضة بالسلعة بدلاً من الذهب والفضة. او رعا اكتفى المتحضرون الآن بالحوالات والسندات مكان النقود كما كانوا يفعلون واعتاضوا عنها بحبات الخرز كما هي الحال عند المتوحشين

روح الهواء

عبثاً تحاولين البحث عنهم فقد هلكوا وبادوا

روح الارض

بالله ماذا تعنين بذلك ؟

روح الهواء

أعني انهم انقرضوا وبادوا عن بكرة ابيهم

روح الارض

هذا هراء . ولو حدث شيء مثل هذا لذكرته الجرائد واني لم اسمع على الاطلاق شيئاً بخصوص هذا الحادث

روح الهواء

الجرائد ! أأنت غبية الى حد انك لا تعرفين ان الجرائد لن تظهر ما دام الانسان قد هلك

روح الارض

نعم هذا حق . ولكن كيف نقف الآن على اخبار الدنيا

روح الهواء

اي اخبار تريدين سماعها الآن ؟ اغربت الشمس ام اشرقت وهل الجو حار او بارد وهل امطرت السماء وتساقطت الثلوج وهبت العواصف الشديدة؟والآن وقدانقرضت السلالة البشرية استراح الحظ وأزاح العصابة عن عينيه واستعاض عنها بنظارات وربط عجلته الى احد الابواب وجلس مغموم الذراعين يتأمل احوال الدنيا دون ان يشترك فيها فليس الآن ثمة من ممالك ودول تنتفخ وتتضخم ثم تختفي اختفاء فقاقيع العابرين ولقد اندثر اثرها وطمست معالمها فلا حروب ولا جهاد . وكل سنة الآن تشبه سابقتها مثلما تشبه البيضة البيضة

روح الارض

ولكننا لا نستطيع ان نعرف ايام الشهر إذ لا نتاجج الآن

روح الهواء

ولكن ما خطر ذلك ؟ ان القمر سيتابع سيره دون ان يعرقهُ عائق

روح الارض

ولكن الايام ستفقد اسماءها

روح الهواء

ماذا ! أتظنين ان الايام تقف عن دورتها اذا نحن لم ندعها بأسمائها ؟ وربما دار في خلدك انها اذا مرت مرة يمكن ارجاعها بالنداء .

روح الارض

ولكننا لن نستطيع عد السنين

روح الهواء

في هذه الحالة يمكننا ان نعد انفسنا صغيرات السن بعد اذ طال عمرنا . وفوق ذلك فانهُ عند ما لا نستطيع حساب الماضي يقل اهتمامنا بهِ . واذا بلغنا الشيخوخة لا نترقب الموت من يوم لآخر

روح الارض

ولكن كيف كانت خاتمة هؤلاء المناكيد ؟

روح الهواء

لقد ابادتهم الحروب المتتابعة . وبعضهم غرق في الاسفار البحرية والرحلات البعيدة وفريق آخر هلكوا بأيدي بعضهم البعض . وجماعة منهم انتحروا وبعضهم انهكوا

اذهانهم بادمان المطالعة . والبعض اودت بهم السطة . وقساوس القرن انهم هلكوا بأتيانهم كل ما في طاقتهم لاغضاب الطبيعة وجلب الهلاك

روح الارض

لم استطع ان افهم من مضمون كلامك كيف ان شعباً من الحيوانات يتساق برمته الى الهلاك والانقراض على هذه الصورة العجيبة

روح الهواء

لقد كنت اظن ان من كان مثلك « جيوفوحيتا » محكماً لا يرى في هذا شيئاً غير مألوف . وان انواعاً كثيرة من المخلوقات التي عشيت الارض غير موجودة الآن . ولا يوجد لها اثر الا في حفريات الارض . وهذا رغم ان هذه المخلوقات التاعسة لم تلجأ الى حيلة من الحيل الدنيئة الحصر التي كان يلجأ اليها الانسان لجلب الهلاك

روح الارض

اظنك على الحق . ولكن اريد ان اقول انني اود لو انهُ اتيح لحشرة او لحشرتين من هؤلاء الآدميين ان تعود الحياة ولو لم يكن ذلك الا لنعرف ماذا يقولون عند ما يجدون انهُ بالرغم من هلاك النوع البشري فان كل شيء لا يزال سائراً في مجراه كما كان الامر من قبل في هذه الدنيا التي كانوا يظنون انها خلقت من اجلهم

روح الهواء

انهم لا يستطيعون ان يتصوروا ان الدنيا خلقت في الحقيقة لاجل هوام الهواء

روح الارض

اسمحي لي ان الاحظ عليك الخلط في الكلام اذا كنت تجدّين

روح الهواء

ماذا تعنين بذلك ؟ انا اجدُّ في كلامي

روح الارض

اصلح الله حالك ايتها الهازلة الصغيرة : ان صبية المكاتب يعلمون ان الدنيا لم تخلق الا لحشرات الارض

روح الهواء

حقيقة لحشرات الارض ! لحشرات الارض التي تعيش على الدوام تحت الارض ! هذا هزل . ماذا تستفيد حشرات الارض من الشمس والقمر والهواء والبحر والسهول

روح الارض

وانا اريد ان اعرف ما الذي تستفيده حشرات الهواء من مناجم الذهب والفضة وسائر محتويات باطن الارض ؟

روح الهواء

سواء استفادت او لم تستفد فلنترك الخلاف في هذا . واني متأكدة ان الضب والبعوض وسائر الحشرات تتصور ان الدنيا بأسرها خلقت من اجلها . فلندع كل مخلوق يتمسك برأيه اذ لا يستطيع احد ان ينتزعه من رأسه . وانا اقول بالاصالة عن نفسي انني لو لم اولد من حشرات الهواء لانتظر قلبي

روح الارض

وانا كذلك لو لم اولد من حشرات الارض . لوددت ان اعرف ماذا عسى ان يقولوا الآن في ادعائهم ملكية الاشياء . ذلك الادعاء الذي كان يستحثهم على بسط ايديهم في كنوز الارض وانتهابها زاعمين انها من فيئهم وان الطبيعة انما خبأتها في باطن الارض لتختبر قدرتهم في التنقيب عنها واخراجها

روح الهواء

هذا حالهم . ولست ادري لماذا بلغت بهم النجعة الى حد انهم لم يكتفوا بان يتصوروا ان كل شيء على الارض انما جاء لمنفعتهم فحسب بل توهموا ايضاً ان الخليقة بأسرها ليست الا سفاسف اذا قيست بهم . ولقد كانوا يسمون الانقلابات الضئيلة التي تنتاب احوالهم ثورات عالمية واطلقوا على تاريخ اقوامهم واسمهم تاريخ الدنيا مع وجود انواع كثيرة اخرى من الحيوان على الارض — بغض النظر عن الحشرات — تعادلهم في الكثرة . ومع كل هذا فان هذه الحيوانات التي كانوا يظنون انها لم تخلق الا لمنفعتهم لم تحس بهذه الثورات العالمية

روح الارض

وهل استيقنوا ان البعوض والبراغيث خلقا لمنفعتهم

روح الهواء

اي نعم .لاجل ان يتعلموا الصبر

روح الارض

فكأنهم لولا وجود البراغيث لما وجدوا شيئاً يجربون به صبرهم

روح الهواء

ولقد وصلت الغلظة باحدهم — وهو المدعو كريسبس — الى حد ان يقول ان الخنازير ليست الا بضعة من اللحم جهزتها الطبيعة ليلتهمها الانسان وان الحياة لم تمنح لها الا لحفظها من التلف مثلما تضع البهارات والتوابل في الطعام خشية العفن والفساد

روح الارض

لو كان في ذهن كريسبس المذكور ذرة من المخ بدلاً من هذا الخيال انيقظ لما فاه بمثل هذا الكلام

روح الهواء

وهناك فكرة اخرى لذيذة . وذلك انهُ يوجد عدد لا نهائي من المخلوقات الحية لم ينظرها هؤلاء الذين ادعوا السيادة وظهروا بمظهرها بل ان نفس وجودها كان مجهولاً عندهم اما لأن هذه المخلوقات تعيش في اماكن لم يطرقها الانسان واما لانها من الضؤولة بحيث لا تراها العين العارية . والآلاف المؤلفة من هذه المخلوقات لم تستكشف الا في الازمنة الحديثة . ويصدق هذا القول على النباتات . وليس هذا كل ما في الامر لانهُ بعد ان مرّت اجيال واخترع المنظار المكبر وأطرد رقيه فاهتدوا بهِ الى مواقع عدد قليل من النجوم والاجرام التي كانوا يجهلونها منذ آلاف السنين اسرعوا فأدرجوها في قائمة ممتلكاتهم متوهمين ان هذه الاجرام السماوية ليست سوى مصابيح وشموع قد زينت بها السماء لترسل الضوء الى حضراتهم اذ من الضروري لهم ان يشغلوا انفسهم حتى في اثناء الليل

روح الارض

هذا حق . ومن هذا القبيل ايضاً انهُ عند ما يبحرون في ليالي الصيف النيازك تمرق عرض السماء اظنهم يقولون انها ارواح صاعدة الى السماء لتصلح الشموع حرصاً على راحتهم

روح الهواء

صحيح . ولكن الآن وقد عفا الزمن فان الكون لم يكترث لهم ولم يشعر بحاجة اليهم فالانهار لا تزال تجري كعادتها والبحر وان لم يعد يستخدم لملاحتهم فان مياهه لم تغض وهذا لعمري مما يدهش

روح الارض

ولا تزال النجوم والافلاك كدأبها تشرق وتغرب ولم تلبس عليهم ثياب الحداد

روح الهواء

والشمس لم يعل صفحتها السدأ كما فعلت يوم مات قيصر في زعم فرجل . ومن رأيي انها لم تحفل بهِ مثقال ذرّة اكثر مما حفلته بتمثال بومباي على ارضهم